القوس والسهم على الآثار العربية الاسلامية
في العصر العباسي

الدكتور صلاح حسين العبيدي
كلية الآداب ـ جامعة بغـــــداد

لقد استأثر السلاح بحب العرب منذ أقدم العصور ، فكانوا يفخرون بمعداتهم الحربية ويقدسونها لانهم بها يحمون انفسهم ويستجلبون معاشهم ويقارعون بها اعداءهم .

ومن الملاحظ ان السلاح عند العرب بقي بعيدا عن متناول الباحثين والدارسين في الاثار العربية كما ان الذين كتبوا فيه تناولوه من الناحيتين التاريخية والعسكرية ، اما الجانب الاثري فيكاد يكون غائبا عن هذه الدراسات .

ولعل هذا وذاك شجعني على الكتابة فيه ، بشكل يجمع بين ما أورده ـ المؤرخون في كتب التاريخ والادب والمعاجم وبين ما حصلنا عليه من آثار وصور لمختلف انواع السلاح مما يكمل الصورة التي يجب ان تكون عليه تاريخيا واثريا .

والاسلحة التي استعملها العرب في القتال كثيرة ومتنوعة . وقد سبق لنا أن قدمنا دراسة عن البندقية (١) والمنجنيق (٢) والقذائف النارية والبارودية (٣)،

---

١ ـ انظر مجلة كلية الآداب (جامعة بغداد) العد الثاني والعشرون ١٩٧٨ ص ٧٣ ـ ١٠٥ .

٢ ـ انظر مجلة آفاق عربية ـ العدد (٥) ١٩٧٩ ص ٧٢ ـ ٧٧ ومجلة كلية الآداب ، العدد الخامس والعشرون ١٩٧٩ ص ٥٩٥ ـ ٦١٨ .

٣ ـ انظر مجلة كلية الآداب (ملحق) ١٩٧٨ ص ٥٥ ـ ٦٨ .

وقد اخترنا هذه المرة الكلام عن القوس والسهم في العصر العباسي آملين ان نتبعها بدراسة أخرى لبقية تلك الاسلحة .

تعرف المصادر القسي بأنها اعواد من الخشب اللين المتين تقوس كالهـــــلال ويثبت فيها وترمى به السهام . ويفهم مما تقدم أن هذه الالة الحربية مكونة من قوس ووتر مشدود اليه وسهم .

لقد وجد العرب ان سلاح القوس والسهم ذو اهمية استراتيجية فعملوا على استخدامه بشكل واسع للاسباب الاتية :

١ – يعتبر من الاسلحة التي لها مدى بعيد عند الرمي .

٢ – يستخدم في حالتي الهجوم والدفاع .

٣ – سهل الدفاع عن الحصون والمعسكرات .

٤ – اعتبر رماة السهم بمثابة قاعدة النار أو ما يشبه ذلك في التعبئة الحديثة بينما اعتبر حاملو السيوف والرماح بمثابة الحركة .

٥ – استخدم رماة السهم لحماية الاجنحة وللخرق اثناء الهجوم ثم للترصين الهدف بعد الاستيلاء عليه ، امـــا بالنسبة للمدافعين فكان رماة السهم بمثابة ما يشبه في الوقت الحاضر عمل النار الدفاعية أو نار الانقاذ أى انهم كانوا يحطمون الموجة الاولى من المهاجمين وبذلك يضعفوا قوة الهجوم المعادية ماديا ومعنويا . وهذا ما ثبت فعلا في معركة احـــد حيث ان الرسول القائد طلب من جماعة الرماة حماية الجناح والمؤخرة للجيش العربي الاسلامي .

هذا ولم يقتصر استخدام القوس على القوات البرية بل استخدمه العرب باتقان ومهارة في معاركهم البحرية أيضا .

وكانت العرب تتخذ القوس من شجر الضال والنبع والشوحط والســـدر والسريان والاشكال والحماط والتالب والنشم (٤) .

---

٤ – الالوسي ، شكرى ، بلوغ الادب في معرفة احوال العرب (ط ٢) القاهرة ١٩٢٥ ٣ / ٣٥٥ .
الصالحي ، عباس مصطفى ، الصيد والطرد في الشعر العربي ص ٢٢٨ .

واطلق العرب على اجزاء القوس اسماء مختلفة ، فخشبة القوس كله يقال لها (البدن) والناحية العليا منه تعرف بيد القوس ، بينما عرفت الناحية السفلى برجل القوس (٥) ، فأن عطف كل طرف وركب به الوتر قيل له (السية) (٦) ، ولكل قوس سيتان هما اليد والرجل (٧) . اما الكظر فهو الغرض الذى يكون فيه الوتر (٨) ، بينما يعرف مقعد الوتر الى طرف القوس بالظفر(٩). واما ما بين المقبض والسية فهو القاب ، ولكل قوس قابان (١٠) . وقد اطلقوا على مجرى الوتر في القوس اسم الحراث (١١) ، وعلى السير الذى تعلق به القوس اسم الحمالة ، وعلى مقبض القوس اسم العجس والمعجس (١٢) (انظر شكل١).

اما السهم فيصنع من خشب تعمل فيه حزوز يركب فيها الريش باحد طرفيه وفي الطرف الاخر يركب نصل من حديد مدبب له سنتان في عكس اتجاهه يجعلانه صعب الاخراج اذا نشب في الجسم (١٣) .

ويتألف السهم من اجزاء اعطى العرب لكل جزء مصطلحه الخاص به. فالقدح جسم السهم المتخذ من الخشب ويسمونه الحظوة (١٤) ، واما زنمتا الفوق وهو حرفاه فتسميان الرجلين أيضا (١٥) ويعرف مدخل النصل في القدم بالرعظ (١٦) ويعرف الجزء المستدق من مؤخرة مما يلي الريش بأسم ذلق السهم(١٧)

---

٥ – ابن سيده ، المخصص ج ٦ ص ٤٣ .
٦ – العسكرى ، ابو هلا ل ، كتاب التلخيص في معرفة اسما الا شياء ج ٢ ص ٥٣٤ .
٧ – عون – عبد الرووف ، الفن الحربي في صدر الا سلا م ص ١٣٠ .
٨ – العسكرى ، المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٤ .
٩ – المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٥ / ابن سيده المصدر السابق ج ٦ ص ٤٣ .
١٠ – عون ، المصدر السابق ص ١٣٠ .
١١ – العسكرى ، المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٨ .
١٢ – المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٥ .
١٣ – عون – المصدر السابق ص ١٣٧ .
١٤ – المصدر السابق ص ١٣٨ .
١٥ – المصدر السابق ص ١٣٩ .
١٦ – العسكرى ، المصدر السابق ج ٣ ص ٥٣٨ .
١٧ – العسكرى المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٧ / ابن سيده – المصدر السابق ج ٦ ص ٥٤ .

بينما يعرف موضع الريش عند السهم بالكظامة (١٨)وموضع الوتر بالفوق (١٩). اما النصل فهو حديدة وتجعل له سنتان في عكس اتجاهه (انظر شكل ٢) وقد ذكر لها ابن سيدة طائفة من الاسماء هي اشبه بالاوصاف من قبل العريض والطويل ، والعريض القصير والمدور والمدملك لاعرض له (٢٠).

واورد العرب للسهم اسماء تختلف بحسب اشكاله وهيئته واهميته ، ذكر المؤرخون منها : الاهزع وهو اجودها .. ويؤخره الرامي فيبقيه في كنانته فلا يرمي به (٢١) ولعل مثل ذلك لاعتزازه به أو لادخاره الى وقت عصيب جدا حيث لا يقتني سواه . واما المريخ فهو الذي يغلي به ويكون طويلا ولـــه اربع اذان (٢٢) . والمغلاة يغلي به أيضا فيرمي بالسهم حيث ما يبلغ (٢٣) . واما المشقم فهو سهم عريض النصل (٢٤) .

واذا كانت للسهم خطوط فهو المسّير(٢٥) ، والصغير من السهام قدر ذراع يقال له الحظوة (٢٦) ويتخذ عادة من ادنى غصن في الشجرة . اما المحراس فهو سهم طويل القذذ والحسبان سهام صغار (٢٨) .

وكان يتحكم في مدى السهام ما فيه ليونة ويبوسة ، فمتى كان السهم لينا ليس بالمفرط كان ذلك ابعد للرماية واشد للنكاية ، ومتى كان يابسا كان

---

١٨ – العسكرى – المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٨ / ابن سيده – المصدر السابق ج ٦ ص ٥٤ .
١٩ – العسكرى – المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٧ .
٢٠ – ابن سيده ، المصدر السابق ج ٦ ص ٥٨ و ٥٩ .
٢١ – العسكرى ، المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٦ .
٢٢ – العسكرى ، المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٦ .
٢٣ – المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٧ .
٢٤ – المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٧ .
٢٥ – ابن سيده – المصدر السابق ج ٦ ص ٥١ .
٢٦ – المصدر السابق ج ٦ ص ٥١ .
٢٧ – المصدر السابق ج ٦ ص ٥١ .
٢٨ – المصدر السابق ج ٦ ص ٥١ .

دون ذلك (٢٩) .

الاصل في السهم ان يستخدم في القتال الا ان العرب استعملوه أيضا لاغراض اخرى مثل ارسال كتل نارية لالقائها على الحصون والمعسكرات ومخازن التموين أو الخيام لغرض احراقها وادخال الرعب في نفوس الاعداء وكذلك احراق ابواب الحصون بواسطة السهام النارية لغرض فتحها . او اتخاذ السهم واسطة لنقل الاخبار الى المحاصرين داخل الحصن . وقد يكون من في الحصن يرغبون التسليم فيطلبون الامان مكتوبا ثم يرمون به الى من في الخارج مستخدمين السهام لذلك (٣٠) .

أما الوتر فهو ما يتخذ من عصب عنق البعير أو من خيوط مفتولة أو شراك جلد يتألف الوتر من الغفارة وهي الرقعة التي تكون تحت الوتر (٣١) والاطرة الجزء الذي تعقد على القوس (٣٢) ومن اجزاء الوتر الاخرى الاطنانة وهو السير الذي في طرف الوتر (٣٣) وكانت الاوتار تتأثر بحرارة الجو وبرودته، وقد اشار الى هذه الحقيقة كشاجم في كتابه (المطارد والمصايد) (٣٤) فهو يقول « تمتد الاوتار في المطر والبلاد الندية ولاسيما الاوتار الجلدية ، ويقصر في الاوقات الحارة القاحلة والبلد اليابس ، والاحتياط ان تستظهر بوترين طويل وقصير يعلق كل واحد منهما في الوقت الذي يصلح له يمكن حسب حاجة القوس ومقدارها ، فأن لم يكن الا وتر واحد جعل معتدلا فأن احتيج الى ان يقصر عقده عقدة أو فتله فتلة أو فتلتين حسب الحاجة وان كان الزمان صيفا

---

٢٩ – الطرطوسي ، مرضي بن علي بن مرضي ، تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجاة في الحروب – عني بتحقيقه ونشره كلود كاهن ص ١٦ .

٣٠ – عون – المصدر السابق ص ١٤١ .

٣١ – العسكري – المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٥ .

٣٢ – المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٥ .

٣٣ – المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٥ – ٥٣٦ .

٣٤ – كشاجم ، ابو الفتح محمود بن الحسن الكاتب – المصايد والمطارد ص ٦٣ .

وفي السمائم احرز في موضع بارد .. والعصبية تصلح للشتاء لئلا تطول وتسترخي بالماء والمطر .» .

ومن هنا جاء اهتمام العرب بأوتار الاقواس فكانوا يحافظون عليها من الشمس والمطر لتكون بعيدة عن التلف وخوفا من ان يصيبها الندى ، ولضمان جودة الاوتار كانوا يدهنونها بالدهان . قال كشاجم « والدهن الصيني يؤمن الندى والسمائم ويقي (٣٥). »

ومن مكملات القوس والسهم ان يتنكب صاحبها كنانة أو جعبة تودع فيها السهام والكنانة وعاء يتألف من قوائم خشبية يوصل ما بينها بالجلد أو يتخذ من الجلد أو الخشب فقط . (٣٦)

و كانت العرب تحفظ اقواسها بغلاف خاص اطلقو عليه لفظ « الموشق»(٣٧).

لقد كان العرب من امهر المقاتلين في النزع بالقوس ، فقلما كانت تطيش سهامهم . وبلغ من اجادتهم في الرمي حدا يكاد يتعدى طور التصديق . ولاشك ان حدة ابصارهم وقوة سواعدهم ولحاجاتهم اليها في الحرب والصيد جعلتهم يتقنون الرماية بها الى حد بعيد ، ومما يدل على مهارة العرب وتفوقهم باستخدام القوس ما ذكره صاحب العقد الفريد ان احدهم كان يستطيع ان يرمي بالنبال احدى عيني غزال دون العين الاخرى و كان العربي يعلق ضبيا بشجرة ويرمي بالنبال فيصيب أى عضو يشاء من اعضائه حتى يرمي فقراته ، فقرة فقرة فلا يخطيء واحدة منها (٣٨) .

ويظهر ان مهارة العرب في فن الرماية بالقوس والدقة في اصابة الهدف لم تأت بشكل اعتباطي ولكنها كانت تخضع لقواعد وأسس دقيقة جاء على ذكرها

---

٣٥ – المصدر السابق ص ١٦٤ .

٣٦ – عون – المصدر السابق ص ١٤٠ .

٣٧ – العسكرى . المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٥ .

٣٨ – ابن عبد ربه – العقد الفريد ج ٢ ص ٦٨ .

المؤرخون فمن وصية لكشاجم (٣٩) الى رامي النبال الذي يستخدم القوس ليلا قال « اجعل عينك مع يسارك ويدك على منكبك والوتر على اذنك فما حاذاك من شيء فارمه على تلقائك » .

اما في حالة استخدام القوس نهارا يقول كشاجم (٤٠) « الا تعتمد رمي شيء من ذلك مستديرا ولا ملتفتا ولكن اجتهد في معارضته الا ترى » .

ثم يوضح كشاجم (٤١) كيفية الامساك للسهم فيقول « امساكه بالثلاث الوسطى والبنصر والخنصر اشد منه بالسبابة والابهام وتفتل السبابة على النشابة» وعن مد السهم قال كشاجم (٤٢) « ان يمد بالوتر لا بالسهم والمد بالثلاث تسميه العرب الربيات ومنه قول الشاعر :

البزم لاتبلـــغ قوسي سهمي لا بالربيات ولا بالبزم

وقدمت لنا احدى المخطوطات العربية وصفا دقيقا مفصلا عن قواعد الرمي بالنشاب واسسه ويستدل مما ورد في المخطوطة ان عملية اطلاق الرمية أو السهم لم تكن اعتباطية وانما كانت تتم وفق مقاييس دقيقة جدا ، حتى ان مؤلف المخطوطة اورد مقادير الرمي بالاذرع بشكل تفصيلي ودقيق ، نفهم منه ان العرب لم يتركوا هذه الالة واستعمالاتها دون دراسة علمية ذات اصول وقواعد ثابتة ، يضاف اليها ما اوردته المخطوطة من وصف لوضع اليد تجاه الوجه أو جانبه الايمن والايسر وفوق الشارب واسفله مما يترتب عليه اختلافات في دقة الاصابة وفي المسافة بحسب موضع النشاب .(٤٣)

---

٣٩ – كشاجم ، المصدر السابق ص ١٦٤ .

٤٠ – المصدر السابق ص ١٦٥ .

٤١ – المصدر السابق ص ١٦٤ .

٤٢ – المصدر السابق ١٦٤ .

٤٣ – انظر الجيش والسلاح في العهد الاشورى الحديث لمؤلفه يوسف عبد الله ص ٢٠٣ .

وحاول صاحب كتاب – الجيش والسلاح في العهد الاشوري – (٤٤) الذي استعان بالمخطوطة المذكورة ان يدلي لنا بايضاح تفصيلي عن فهمه لما أوردته المخطوطة عن مقاييس البعد عند الرمي مستعينا بالرسم ، فى تسهيل مهمة الشرح . فجاء ايضاحه برغم ما يرافق العملية من بعض الغموض نافعا في كثير من جوانبه المتعددة .

هذا وللرمي بالقوس اوضاع متعددة اكثرها شيوعا هو الرمي امابار كا او واقفا . ففي الرمي أثناء البروك يمد المقاتل ساقه اليسرى الى الامام وساقه اليمنى الى الخلف بعد أن تكون الركبة مستندة على الارض ويمسك القوس باليد اليسرى على امتدادها وثم يسحب الوتر مع السهم باليد اليمنى ويصوب على الهدف .

اما في حالة الرمى وقوفا فيمد المقاتل الساق اليسرى للامام ويمسك القوس كما في حالة البروك .

غير ان البعض من المؤرخين ينكر على العرب معرفتهم لهذا السلاح وتفوقهم في استعماله ، بل جعلوه سلاحا نادرا لديهم . يقول الحسن بن عبد الله (٤٥) وليس لهم – أى العرب – من أنواع الاسلحة الا الرمح ، ورمي القوس العربي في بعض طوائفهم وهو كالنادر فيهم .

كذلك من الملاحظ أن بعض المؤرخين من العرب من تبع – وهو مغمض العينين – هذا الرأى الذي يجانب الصواب ، ولا يتفق مع المنطق العلمي والحقائق المعروفة عن دراية العرب بهذا السلاح ، فقد انكر صاحب كتاب الفن الحربي في صدر الاسلام (٤٦) هو الآخر براعة العرب في استخدام القوس ،

---

٤٤ – المصدر السابق ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .

٤٥ – الحسن بن عبد الله – آثار الاول في تدبير الدول – مطبوع على هامش تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٨ ، ١٢٧ .

٤٦ – عون – المصدر السابق ص ١٣٢ .

وردد ما قاله الحسن بن عبد الله في القوس ، حيث قال (واغلب الظن ان العرب اول امرهم لم يبرعوا في استعمال القوس براعتهم في استعمال الرمح والسيف وانهم توسعوا في استعمال هذا السلاح واتقنوه بعد اتصالهم بالفرس والروم والنوبة حيث كانوا يلاقون منهم اذى شديد بسبب اجادتهم الرمي بهذا السلاح) بل ذهب الى ابعد من ذلك عندما شكك بقدرة العرب على استعمال سلاح القوس فهو يقول « وان القصة التي رواها صاحب العقد الفريد وهي على شبهها بالخرافة تحاول ان تثبت للعرب ما ليس لهم تزيدا وتعصبا » ويقول في مكان آخر « ومما يدل على عدم انتشار القوس عند العرب ان اشعارهم وردت مفعمة بامتداح السيف والرمح والتدقيق في وصف اجزائهما واكثرت لغتهم من اسمائهما ولكنها اقلت جداً في اسماء القوس ، ولا نكاد نعرف كيف كانت تؤخذ من الشجر الجبلي ثم تسوى الا من قصيدة أوس بن حجر » .

ان هذا الكلام يدل ظاهرة على ان الباحث لم يستند على اية مصادر علمية او على الاقل انه لم يطلع على الشعر الجاهلي ، فهو في كل الاحوال يريد ان ينسب ما للعرب لغيرهم ، ولو كان ذلك في التفريط بأمانته العلمية .

وامامي الآن عدد من الشعراء الجاهليين الذي ترددت اسماء القوس على السنتهم فهم – بالاضافة الى اوس – العبدى والشنفرى وراشد بن شهاب اليشكرى وعمر بن معد يكرب والشماخ والاصبع العدواني وغيرهم (٤٧).

بل ورد في شعر امرئ القيس مايدل على انه كان يرى بعينيه عمالا ماهرين في صنع الاقواس والنبال . قال امرؤ القيس :

نطعنهم سلكي ومخلوجه كرك لامين على نابل

قال ابن منظور في تفسير البيت ولامت السهم جعلت له لؤاما . واللؤام القذذ الملتئمة ، وهي التي يلي بطن القذة منها ظهر الاخرى ، وهو اجود ما يكون.

---

٤٧ – القيسي ، نورى – الفروسية في الشعر الجاهلي ص ١٧٨ – ١٨٠ .

قال رؤبة : حدثني ابي عن ابيه قال : حدثتني عمتي وكانت في بني دارم قالت سألت امرؤالقيس ، ما معنى قولك :

كرك لامين على نبال ؟ فقال : مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاما وظهارا فما رأيت اسرع منه ولا احسن فشبهت به (٤٨).

فهذا دليل على معرفة العرب بهذه الصنعة منذ عصر امرئ القيس .

وقد بلغت منزلة القوس عند العربي انه اذا اراد ان يلتزم بتنفيذ امر ولم يستطعه رهن قوسه . فقد جاء في كتاب العقد الفريد (٤٩) « ان حاجب بن زراره وفد على كسرى لما منع تميما من ريف العراق فأستأذن عليه وطلب منه ان يأذن لهم ان يدخلوا الريف فطلب كسرى من حاجب ضمانا ان لا يفسدوا البلاد قال حاجب فأني ضامن للملك ان لا يفعلوا قال : فمن لي بأن تفي أنت؟ قال : ارهنك قوسي ، فلما جاء بها ضحك من حوله وقالوا : لهذه العصا يفي . قال كسرى اما كان ليسلمها لشيء أبدا فقبضها منه واذن لهم ان يدخلوا الريف » ويستطرد ابن عبد ربه فيقول (ومات حاجب بن زرارة فارتحل عطارد بن حاجب الى كسرى يطلب قوس ابيه فقال له : ما أنت الذي رهنتها؟ قال : اجل ، قال : فما فعل . قال : هلك وهو أبي وقد وفى له قوسهووفى هو الملك فر دها عليه وكساه حلة .

ومثلما عرف العرب القوس والسهم في العصر الجاهلي عرفوه بعد الاسلام وفي الاحاديث الشريفة نصوص تؤكد ان القوس كان امضى الاسلحة واشدها. فقد روى عن الرسول (ص) قوله في القوس (ما سبقها سلاح الى خير قط) (٥٠).

وقد كان للقوس دور فعال ومهم في الحروب التي خاضها العرب منـــذ فجر الاسلام .

---

٤٨ – انظر لسان العرب – مادة (لام) وناصر الدين الاسد – مصادر الشعر الجاهلي طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٩ – ط ٤ ص ٢٦٥ – ٢٦٦ .

٤٩ – ابن عبد ربه – العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠ .

٥٠ – عون المصدر السابق ص ١٣٣ .

ولم يكن اهتمام الامويين بالقوس اقل من اهتمام من سبقهم ، وتشير الكتب التاريخية ان هذه الآلة الحربية كانت من بين الاسلحة التي اعتمد عليها الامويين في حروبهم وفتوحاتهم (٥١) .

اما في العصر العباسي فقد ازداد الاهتمام بالقوس واصبح سلاحا عادياً دخل في الوية الجيش حتى ان العباسيين كونوا لهفرقة خاصة اصبحت من صنوف الجيش العباسي يطلق عليهم (النشابون) وكان يعول عليهم كثيرا في المعارك في حالتي الهجوم والدفاع (٥٢) .

وكان للدولة العباسية دار يقال لها – خزانة السلاح – كانوا يخزنون فيها الكسوة والفرش والسلاح ، وقد امدنا ابن الزبير (٥٣) باحصائية للأسلحة التي وجدت في خزائن الكسوة على عهد هارو ن الرشيد ، ومما يذكره عن هذه الخزائن قوله (قال الفضل بن الربيع لما ولي الامين الخلافة بعد ابيه هارون الرشيد سنة ثلاث وتسعين ومئة امرني ان احصي ما في الخزائن من الكسوة والفرش والانية والالة فاحضرت الكتاب والخزان احصي اربعة اشهر ما في هذه الخزائن من الالات كل صنف على حده وكان من جملة ما احصى من الات الحرب عشرة الاف سيف مموه بالذهب ومائة وخمسون الف رمح ومئة الف قوس .

ومثل هذه الاحصائيات تعطينا صورة لما كانت عليه جيوش العباسيين من التسلح، وقد بذل العباسيون عناية كبيرة في تطوير سلاح القوس بعد ان لمسوا فائدته القتالية فتوصلوا الى ابتكار انواع منها تتفاوت شكلا وقوة .

وقد عرفت في العصر العباسي انواع عديدة من القسي منها القسي العربيـــة وتسمى أيضا بقوس الحسبان لانها ترمي عددا من السهام تتراوح ما بين اربعة أو

---

٥١ – ماهر ، سعاد . البحرية في مصر الا سلا مية ص ٨١ .

٥٢ – ثابت نعمان – الجندية في الدولة العباسية ص ١٥١ .

٥٣ – ابن الزبير – القاضي الرشيد ابن الزبير – الذخائر والتحف ص ٢١٤– ٢١٥ .

خمسة اسهم فاذا دفعها الو تر خرجت كالجراد المنتشر دفعة واحدة فلابد ان تصيب واحد منها الهدف (٥٤) .

ومنها قوس الزيار ، وهي اشد الاقواس رميا واعظمها جرما وانكاها سهما ويحتاج ايثارها الى عدد من الرجال وتنصب على الابراج وما شاكلها ، والقوة الدافعة فيها تأتي من شد وتر ثم تركه يعود الى حالته الطبيعيةقاذفاً ما يحمله الى بعد يتناسب مع قوة الشد مع التزيير (٥٥) .

وهناك انواع اخرى من الاقواس تعرف بقوس العقار والجرخ وهما دونهما في القوة وجذب وترهما تكون بلولب (٥٦) .

والى جانب الاقواس التي تطلق باليد هناك أنواع منها يطلق عليها اسم (قوس الرجل) ويكون ذلك بدفع رجلي الانسان مع جذب ظهره لان جرهـا يفرض على الانسان ان يجعل في وسطه حزاما من الجلد وفي طرفيه كلابين من الحديد (٥٧) .

كما عرف نوع آخر من القسي تعرف بأقواس الابراج ، وهي الاقواس التي تنصب على الابراج وذلك بأن يعمل اربعة اقواس جرخ في برج له اربع جهات تنصب في كل جهة منها قوس مجراه لها للسهام تنتهي هذه في قفل واحد ويوضع في كل مجراة ثلاثة أو أربعة سهام ويرمي بهذه القسي الاربعة رجل واحد فتخرج في دفعة واحدة ما بين اثنتي عشر الى ستة عشر سهما ، وان كان البرج مسدسا فيكون الخارج منها اربعة وعشرون سهما ويتضاعف النشاب بتضاعف جهات البرج ويرمي الجميع ذلك رجل واحد فيظن ان في البرج رجالا بعدد السهام الخارجة من البرج (٥٨) .

---

٥٤ – الطرطوسي – المصدر السابق ص ٨ .

٥٥ – المصدر السابق ص ٦

٥٦ – المصدر السابق ص ٨ .

٥٧ – المصدر السابق ص ٨ .

٥٨ – المصدر السابق ص ٩ – ١٠

وبالاضافة الى الاقواس المتقدمة فقد شاع في العصر العباسي نوع من الاقواس اطلق عليه (قوس البندق) وهو مخصص لصيد الطيور الصغيرة وقد وصف القلقشندى هذه الاقواس بقوله (قوس يتخذ من القناء وتغرى وفي وسط وتره قطعة دائرة تسمى الجوزة توضع فيها البندقة عند الرمي) (٥٩) .

هذا بالنسبة لما اورده المؤرخون الاقدمون والباحثون المحدثون حول القوس والسهم . اما في مجال الاثار فأن الذي يؤسف له عدم وصول نماذج اثرية من هذا السلاح وربما يرجع السبب في ذلك الى فقدانها خلال الثورات والمحن والنكبات التي حلت بالعالم الاسلامي وبالاخص الغزو المغولي الذي جلب الدمار والخراب بكل بقعة ومدينة نزل فيها . وقد يكون هناك سبب آخر يعود الى طبيعة مادة القوس نفسها ، فهذا السلاح يصنع عادة من مواد لا تتحمل العوارض الطبيعية مثل الحجر والخزف والمعدن والزجاج . الا ان هذا النقص تسده الصور الممثلة على التحف الاثرية العربية المختلفة مثل الخزف والمعدن والمخطوطات المصورة . فقد زودتنا هذه الاثار برسوم للقوس والسهم نذكر منها على سبيل المثال تصويرة تمثل غرة الجزء السابع عشر من كتاب الاغاني المحفوظ في المكتبة الاهلية باستنبول والمؤرخ من سنة ٦١٤ هـ (١١٢٧ م) . حيث يشاهد فيها صورة أمير يجلس القرفصاء وبيده قوس وسهمه وعلى كلتا ذراعيه شريط عليه كتابة باسم بدر الدين لؤلؤ عبد الله وحوله ثمانية اشخاص مرتبين في صفين . وفي متحف كليفلاند (٦٠) ابريق من النحاس الاصفر المكفت بالفضة من صناعة احمد الذكي النقاش الموصلي من سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م) على بدنه مجموعة من الاشكال الدائرية في احداها شخصان متقابلان بين شجرة يمسكان بقوس وقد ثنى الذي على جهة اليسار من الصورة ساقه الايسر واسنده على الارض وترك ساقه الايمن مثناة ليقف نصف وقفة عليها واما الشخص الاخر فقد جاءت

---

٥٩ – القلقشندى – احمد بن علي بن احمد – صبح الا عشى في صناعة الا نشاء ج ٢ ص ١٣٨ .

٦٠ – صلاح العبيدى – التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي ص ٣٩ .

وقفته مغايرة لذلك ورفع الاثنان قوسيهما فالصياد الذي على يسار الصورة ثنى من العكس يده اليمنى لانها شدت على الوتر بقوة ، واما الاخر فقد كان وضعه متعاكسا لصاحبه وكلاهما يستهدفان طائرين ظهرا على اعلى الشجرة. وهذه الاقواس من النوع المخصص لصيد الطيور كما بيناذلك في بداية الحديث عن الاقواس (شكل ٣) . وترينا صورة أخرى منقوشة على نفس الابريق حيث يظهر فيها رسم شجرة عليها ثلاثة طيور وقد ظهر الى يسارها رجل على جواد يصوب قوسه نحو احد الطيور وامسك الرجل بالقوس بيده اليسرى بينما ثنى من العكس يده اليمنى (شكل ٤).

وعلى كتف الابريق المذكور زخرفة يمكن للانسان ان يميز فيها صيادان أو فارسان وجيوب مدلاة من اكتافهما ، احدهما يشد قوسه والاخر يتابع حركة الكلب الذي يطارد حيوانا .

وتظهر صورة القوس على تحفة معدنية ثانية وهي عبارة عن ابريق من النحاس المكفت بالفضة والنحاس الاحمر من صناعة شجاع بن منعة الموصلي يرجع تاريخه الى سنة ٦٢٩هـ(١٢٣٢م)محفوظ في المتحف البريطاني بلندن(٦١) حيث نجد على بدن الابريق شكلا دائريا يتوسطه منظرا يمثل شخصا معمما ذو وقار يحمل قوسه باليد اليمنى وباسطا الاخرى بينما وقف الى جانبه شخص يقدم له اناء .

وامحنا على ابريق من النحاس الاصفر المكفت بالفضة من عمل أحمد الذكي الموصلي مؤرخ سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٠ م) محفوظ في متحف هامبرج في امريكا(٦٢) مجموعة من النبالين يحتلون كتف الابريق المذكور منهم نبال ورجل يمسك عصا ، ونبال ورجل يمسك طائرا ونبال ورجل يحمل طائرا من عنقه ونبال واقف ورجل راكع يلتقط طائرا (شكل ٥ و ٦ و ٨ و ٩) .

---

٦١ – المصدر السابق ص ٥٧ .

٦٢ – المصدر السابق ص ٦٧ .

ان اوضاع النبالين المختلفة والطرق المتعددة التي يمسكون بها الاقواس والنبال ليست حسبما اتفق ولكن تتفق مع تعليمات وقواعد معروفة لديهم .

وفي المتحف البريطاني بلندن رسم منقوش على ورقة تعود الى القرن السادس أو السابع الهجرى (١٢ ، ١٣م) والرسم المذكور يمثل معركة حربية يظهر فيها مجموعة من الفرسان على خيولهم يهاجمون حصنا ظهر الى يسار التصويرة بينما نشاهد ثلاثة من المدافعين يحتلون الاقسام العليا من الحصن ، اثنان منهم من النشابين في يد كل منهما قوس يشده ليطلق منه سهما نحو القوة المهاجمة

ووجدنا على بعض التحف الخزفية امثلة للقوس نذكر منها طبق من مجموعة كليكيان يرجع تاريخه الى حوالي القرن السابع الهجرى (١٣ م) عليه رسم يمثل معركة حربية وتمثل في هذا الرسم صورة لقلاع واسوار مدينة يحميها رماة ويهاجم اسوار المدينة من الخارج جيش من الفرسان وهم يتقاتلون بمختلف الاسلحة من بينها سلاح القوس والسهم .

ووصلتنا صورتان ممثلتان على مزهرية مؤرخة من سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) والصورة الاولى يبدو فيها صياد في الجهة اليسرى من الصورة ممسكا بالقوس في يساره موجها به الى اعلى وقد شد بقوة على الوتر باليد اليمنى ، وقد ثني من العكس الى خلف جسمه متوثبا ليطلق رميته (شكل ٧) .

اما الصورة الثانية الممثلة على المزهرية المذكورة فهي قريبة الشبه من سابقتها وبخاصة حامل القوس (شكل ٨) .

وفي مجموعة (مارتا بمرشف) (٦٣) اناء خزفي يعود الى القرن السابع الهجري (١٣ م) ويزين الاناء رسم يمثل رجل وأمرأة يمتطين صهوة جمل وقد ظهر الرجل الفارس ممسكاً بقوسه وقد اطلق سهمه ليصيب غزالاً ثبت به

---

٦٣ – Pope: Aaurvey of persion art, VOL.V. PL. 675

حافره في اذنه في اصابة بديعة تدل على مهارة الفارس واجادته في فن الرماية بالقـــوس .

ولم ينس الفنانون ان يصوروا لنا كيف ان الرماة كانوا يقومون بتدريبات عملية على اصابة الهدف بالسهام كما نرى في تصويرة من مخطوط الفروسية محفوظ في متحف الفن الاسلامي في القاهرة والصورة تظهر لنا رجلين يتدربان على اصابة الهدف بالسهام احدهما يركب جوادا ويلتفت الى الخلف ليطلق سهمـــا على الهدف . اما الرجل الثاني فيقف الى يمين التصويرة وراح هو الاخر يجرب مهارته في اصابة الهـــدف (٦٤) (شكل ٩) . و تعرض لنـــا صورة أخرى من نفس المخطوط نموذج من اساليب اختبار قوة ومتانة القوس حيث نرى عليها رجلين يجربان متانة القوس والرجل الأيمن منهما قد علق ثقلا في القوس ليختبر قوة احتماله ، اما الشخص الثاني فقد أمسك بثقل معلق بعمود من اعلاه بيده اليسرى وتراجعت اليد اليمنى الى الخلف محاولا سحب الثقل الى اعلى (٦٥) (شكل – ١٠) .

كانت تلك نظرة عن آلة عربية من آلات الحرب والسلم معا استخدمهـــا العرب في مختلف عصور حياته ، منذ عصر ما تبل الاسلام حتى العصور الاسلامية المتأخرة ، وعن استخدامه في اغراض المتعة والترف في الوقت الحاضر . وقد ادت هذه الالة مهمة كبيرة للانسان في دفاعهعن نفسه أو الحصول على قوته او ازجاء الوقت في الرياضة والاستجمام وظهر لنامن خلال الدراسة انها كانت دقيقة في صنعها دقيقة في استخدامهاوانها رافقت الانسان في جميع مراحـــل حياته وتطوره .

---

٦٤ – مصطفى ، محمد – تصاوير قاهرية – مجلة فكر وفن العدد (٣٠) ص ٣٧ .

٦٥ – المصدر السابق ص ٤٢ – شكل ٨ .

المصـــادر والمراجع

العسكرى – ابو هلال

كتاب التلخيص في معرفة اسماء الاشياء – تحقيق الدكتور عزت حسن دمشق ١٣٨٩ هـ – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

الالوسي – محمود شكرى (ط ٢ – القاهرة ١٩٢٥) .

بلوغ الارب في معرفة احوال العرب .

عون ، عبد الرؤف

الفن الحربي في صدر الاسلام (دار المعارف بمصر ١٩٦١).

ابن سيده – ابو الحسن علي بن اسماعيـل

المخصص (طبعة بيروت) .

الطرطوسي ، مرضى بن علي بن مرضي

تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء ونشر اعلام الاعلام في العدد والالات المعينة على لقاء الاعداء ، عني بتحقيقه ونشره كلود كاهن .

كشاجم – ابو الفتح محمود بن الحسن الكاتب

المصايد والمطارد – تحقيق اسعد طلس بغداد – ١٩٥٤ .

ابن عبد ربه – احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

العقد الفريد – شرحه وطبعه وصححه احمدأمين وابراهيـم الابيارى وعبد السلام هارون – مطبعة لجنة التأليف والنشر .

خلف يوسف –

الجيش والسلاح في العهد الاشورى الحديث ٩١١–٦١٢ ق . م
الدار العربية للطباعة – بغداد ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م .

الحسن بن عبد الله

آثار الاول في تدبير الدول– مطبوع على هامش تاريخ الخلفاء للسيوطي طبعة مصر ١٣٠٥ هـ .

القيسي – نورى حمودى

الفروسية في الشعر الجاهلي (منشورات مكتبة النهضة – بغداد ١٩٦٤ .

ماهر ، سعاد

البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) .

نعمان – ثابت

الجندية في الدولة العباسية (مطبعة بغداد ١٣٥٨ هـ – ١٩٣٩ م)

ابن الزبير– القاضي الرشيد بن الزبير

الذخائر والتحف – حققه الدكتور محمد حميد (الكويت)

القلقشندي – احمد بن علي بن احمد بن عبد الله

صبح الاعشى في صناعة الانشاء – دار الكتب الخديوية ١٣٣١ – ١٩١٣ .

العبيدى – صلاح

التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي – مطبعة دار المعارف ١٩٧١ .

مصطفى ، محمـد

تصاوير قاهرية – مجلة فكر وفن – العدد (٣٠) .

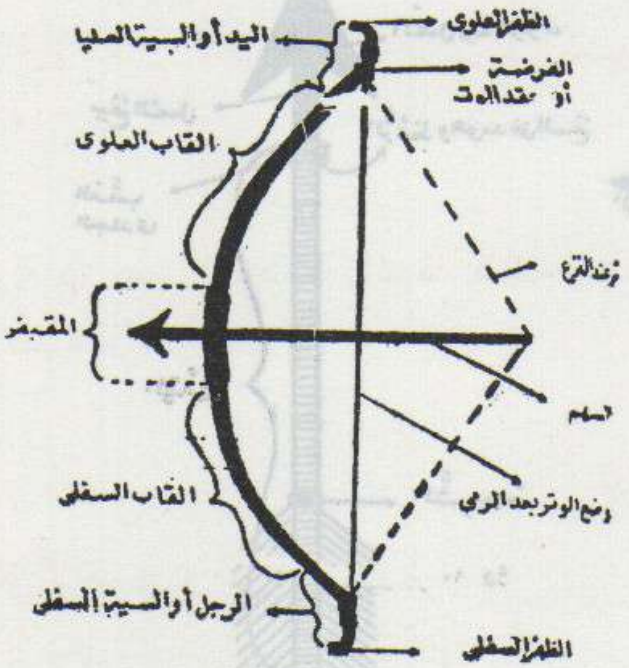

(شكل ١) عن كتاب الفن الحربي

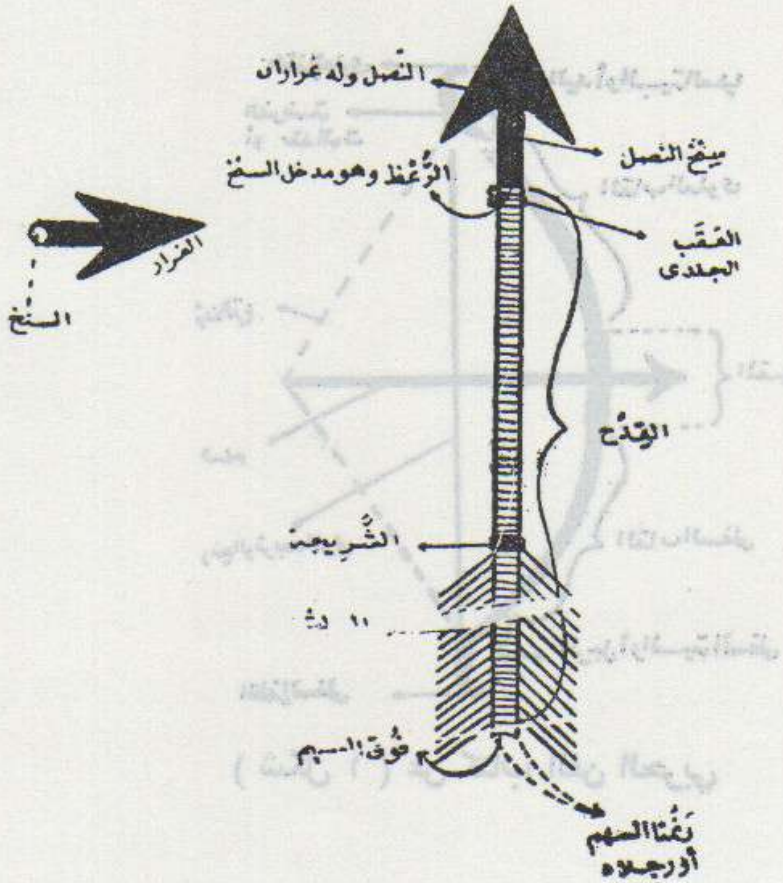

(شكل ٢) عن كتاب الفن الحربي